التطورات السياسية في الدولة العثمانية واثرها على مدن العراق الناصرية انموذجاً

م.م مروه حبيب حسن

أ.م حسن طوكان عبدالله

جامعة ذي قار/كلية التربية للعلوم الانسانية

hassanhistory70@yahoo.com

الملخص:

تناولت هذه الدراسة التطورات السياسية في الدولة العثمانية واثرها على مدن العراق بصورة عامة ومدينة الناصرية بصورة خاصة فتشكيل الجمعيات السرية والأحزاب في مدن العراق كان له تاثير على وعي المواطنين والأرتقاء بهم إلى حالة الحماس من جراء نشاطات هذه الأحزاب والجمعيات في عموم العراق وتأثيرها على مدينة الناصرية بصورة خاصة وان المؤسسين للجمعيات والاحزاب في العراق ينحدرون من طبقات أجتماعية متنوعة من المجتمع العراقي اذ كان لها الدور الاكبر في شحذ همم العراقيين لاشاعة الوعي الوطني داخل مدن العراق وخصوصاً مدينة الناصرية اذ كان لاهلها دوراً أو انتماء في تلك المنظمات أو الاحزاب أو من خلال الصداقات التي تربط بعض ابناء المدينة مع قادة تلك الجمعيات والاحزاب وبرز في العراق أيضاً مثقفون غير تقلديين يفهمون القانون ويعرفون اللغات ويجيدون استخدام الآله الحديثة أي الطابعة والاشراف عليها بل ويحسنون العديد من المهارات التي اكتسبوها من خلال احتكاكهم مع الاوربيين خارج العراق وان هذه الفئة الجديدة اثرت على المثقفين التقلديين في العراق الذين كان ينصب اهتمام اغلبيتهم على قضايا الفقه والادب جعلوهم يتبنون قيماً جديدة لمسايرة روح العصر وكانت لهم اسهاماتهم المؤثرة في مجال الوعي الوطني وتزايد عدد المثقفين فكان للصحافة دور مهم واعتبرت كأداة رئيسية للتعبير عن أفكار المثقفين الجدد وكان صدى هذه النهضة الثقافية قد أمتد الى جميع مدن وساحات العراق ومثقفيها والمتطلعين الى الحرية ومن تلك المدن الناصرية وان هذه الوضع بمجمله خلق مجتمعاً جديداً في المدن عموماً وفرض قاعدة ثابتة من الافكار والاراء والمواقف الجديده التي تختلف جذريا عما كان سائداً وقد عم الوعي الوطني مدن العراق وامتد ذلك ليشمل طبقة من مجتمع مدينة الناصرية.

الكلمات المفتاحية : (ولايات ، رعايا ، الفتاة ، البطائح ، مضبطة ، سلطانية).

Political developments in the Ottoman Empire and their impact on the cities of Iraq Nasiriyah as amodel

assistant teacher:marwa habeeb hassan

Assistant Professor. Hassan Togun Abdullah

Univeristy of Thi-Qar/Faculty of Education for Human Sciences

hassanhistory70@yahoo.com

Abstract:

This study dealt with the political developments in the Ottoman Empire and their impact on the cities of Iraq in general and the city of Nasiriya in particular. The formation of secret societies and parties in the cities of Iraq had an impact on the awareness of citizens and raising them to a state of enthusiasm as a result of the activities of these parties and associations throughout Iraq and their impact on the city of Nasiriya in a way Especially since the founders of associations and parties in Iraq come from various social strata of Iraqi society, as they had the greatest role in sharpening the Iraqis' determination to spread national awareness within the cities of Iraq, especially the city of Nasiriya, as its people had a role or affiliation with those organizations or parties or through friendships that link Some of the city's residents are with the leaders of those associations and parties. Non-traditional intellectuals have emerged in Iraq as well, who understand the law, know languages, and are fluent in using and supervising modern machines, i.e. printers, and even improving many of the skills they acquired through their contact with Europeans outside Iraq, and this new category affected the traditional intellectuals in Iraq, the majority of whom focused on issues of jurisprudence and literature, made them adopt new values To keep pace with the spirit of the age, and they had their influential contributions in the field of national awareness and the increase in the number of intellectuals. The press had an important role and was considered as a main tool for expressing the ideas of the new intellectuals. The echo of this cultural renaissance extended to all cities and squares of Iraq and its intellectuals and those looking to freedom and from those Nasiriya cities and that this situation as a whole Creating a new society in the cities in general and imposing a fixed base of new ideas, opinions and attitudes that differ radically from what was prevalent. The national awareness has pervaded the cities of Iraq and extended to include a class of the society of the city of Nasiriya.

Keywords:(states, subjects, the girl, Al-Bataeh, discipline, bowl).

مقدمة

ان المركزية التي استخدمتها الدولة العثمانية كان له مردوداً سلبياً على جميع الولايات التابعة لها , حيث ادى ذلك إلى سوء الإداره لكون اغلب الولاة كانوا يعينون من خلال المحسوبيات والرشوه ولايمتلكون الخبرة الإدارية في إداره الولايات(طقوش ،٢٠٠٨: ٥٧٠) وكان لهذه المركزية معارضين مما دفع السلاطين العثمانيين بأتخاد بعض الاصلاحات(الشناوي ، ١٩٨٠ : ٥٧٣) من بينها اصدار قانون خط التنظيمات الخيرية الجديدة سنة ١٨٣٩م –١٨٧٦م واكد هذا القانون على حرص الدولة على ارواح وممتلكات المواطنين بمختلف شرائحهم الاجتماعية والعرقية والدينية ونص كذلك على تطبيق العدالة دون محسوبيات امام المحاكم من خلال تطبيق القوانين على الجميع من دون تمييز(الصلابي،د.ت : ٤٤١) فضلاً عن اصدار الدستور الذي نص على الحقوق العامة لرعايا الدولة فأكد على المساواة امام القانون دون النظر الى دياناتهم ولهم كل الحقوق وعليهم جميع الواجبات وقرر ان الحريات الشخصية مصونة ولا تنتهك وكفل حرية العبادة لغير المسلمين شريطة ان لايرتكب احد من شعائرة الدينية(الحصري،١٩٦٠ : ٢٥٨) مايخل بالنظام العام او يتعارض مع الاخلاق الطيبة وان التعين في المناصب الحكومية ميسور للجميع بشرط توفر الكفاءة والمقدرة واجادة اللغة التركية(هاشم ،١٩٩٤ : ٢١٤) وهذا جاء رداً على تدخل الدول الاوربية بالشوؤن الداخلية للدولة العثمانية بحجة ضمان حماية وحرية رعاياها وقد شكلت عده جمعيات واحزاب ساعدت على صدور هذا الدستور واعاده العمل به ١٩٠٨م بعد ان تعطل سنة ١٨٧٨م بسبب الحرب العثمانية الروسية ومن ضمن هذه الجمعيات جمعية الاتحاد والترقي وجمعية تركيا الفتاة((Standford,1977: 83) على ضوء ذلك تشكلت احزاب وجمعيات مماثلة في العراق وكان لهذه الاحزاب والجمعيات إلى جانب وجود المطابع والصحافة والكتب الوافده من الدول العربية والافكار الجديدة التي عصفت بالعالم تاثير واسع على تنامي الوعي الوطني والقومي في جميع مدن العراق عموماً ومدينة الناصرية خصوصاً التي اسست على ارض اماره المنتفق التي يترأسها ال السعدون هذه الامارة الحديدية الصارمة والتي كانت اول المتصدين للنشاطات الحركة

الوهابية الموجوده في الجزيرة العربية والتي بداءت بالضغط على قبائل في اطراف العراق مما حدى بهذه القبائل بالنزوح الى امارة المنتفق والاختلاط بالمجتمع ومشاركته في كافة انشطته (البلداوي ،٢٠٠٣: ٧) وان القسم الاكبر من هذه القبائل قد ذاب في مجتمع هذه الامارة (موسى ،١٩٨٦: ٢٥) وبعد تعين مدحت باشا واليا على العراق ١٨٦٦-١٨٧٢م سعى الى بناء حاضرة في أرجاء المنتفق تحمل اسم ناصر باشا السعدون، وبين له حسنات الاستقرار والعمل بالزراعة والتخلي عن حياة البداوة القاسية. وبعد التفاوض مع منصور شقيق ناصرباشا السعدون المقيم في بغداد تحت الاقامة الجبرية، الذي أدرك مع ناصر بأن المدينة وبناءها هي التي ستحدد مصيرهما وإلاّ فإن الوالي مدحت باشا إما أن يقتلهما أو يستبدلهما بشخص آخر من آل السعدون (سلمان ، ١٩٨٩: ١٨٣) فوافق ناصر باشا على الفكرة تحت ضغط الترغيب والترهيب وبهذه الموافقة اصبح ناصر أول متصرف لهذه الحاضرة، التي أطلق عليها اسم الناصرية في ١٨٦٩/٨/١٣ (خلف ، ٢٠١١: ١٥٨) فأصبح من الموظفين الحكوميين الذين يأتمرون بأمرة الدولة (جريدة الزوراء، ١٨٧١،العدد١٨٤: ٤) وبدء بالتنفيذ، بعد ان أرسل مدحت باشا مع الصناع والمهندسين والمحاسبين (مجموعة باحثين ،١٩٩٠، ج٢: ٢٣٥)وعلى رأسهم نعمة الله أكوبجيان، الحلبي المشهور، وأتبعه بإداريين وصناع زادَ عددهم تباعا على ١٥٠٠ شخص (مجموعة باحثين ، ١٩٨٣: ٢٠)ومهندسا بلجيكيا اسمه جولس تلي، الذي وضع خرائط للمدينة وأطلع عليها مدحت باشا ونالت رضاه، وأرسله لينفذها في ديرة المنتفق. بعد أختيار الموقع الذي يبعد عن بغداد جنوبا ٣٨٧كم، ومن البصرة شمالا ٢١٤كم، وبموقع يتوسط أرض الريف والبطائح وعلى أطرافه الغربية بادية الجزيرة العربية أو أمتداداتها نشاءة مدينة الناصرية (مجموعة باحثين ، ١٩٩٠،ج٢: ٢٣٥) وبناء على هذا الاجراء الذي شكل انعطافة تأريخية في حياة إمارة آل سعدون، أخذ نجم هذه الإمارة بالأفول(العزاوي ،١٩٥٥، ج٧: ٢٣٦).

دور الجمعيات والاحزاب في تنامي الوعي الوطني

بعد أنقلاب الدستوريين ١٩٠٨, والضغط على السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩م على تطبيق الدستور(العطية ،١٩٧٢: ٣٤) وستيلاء جماعة الأتحاد والترقي على الحكم سنة ١٩٠٨م كل لذلك أثر على تصاعد الحس الوطني في مدن العراق فشكل النادي الوطني في بغداد والجمعية الأصلاحية في البصرة، اللذان تبنيتا البرنامج السياسي لحزب اللامركزية الأدارية ، فأخذت تتألف الجمعيات والأحزاب في مدن العراق, التي هي عبارة عن امتداد لمنظمات وأحزاب سياسية مشابهة لها في تركيا مثل جمعية الأتحاد والترقي التي فتحت مقرا لها في بغداد ١٩٠٨م وعضويتها مقتصرة على الموظفين وضباط الجيش(فيضي ،١٩٥٢: ١٧) وفتحت لها فرعا في البصرة تحت أشراف طالب النقيب (عليوي ، ٢٠٠٣: ١٠) ولم يستمر ذلك الفرع طويلا، حيث كان التفاف الناس حول الحزب المعتدل وحزب الحرية والائتلاف الذي فتح له فرعا في بغداد ١٩٠٩م وفي البصرة ١٩١١م ولكن ذلك التنسيق العراقي التركي بين المنظمات سرعان ما أنهار نظراً لتسلط الاتحاديين ونزعاتهم القومية.ويعد تخلي السلطان عبد الحميد عن السلطة بعد ضغط الضباط وكبار الموظفين من الثور المطالبين بالاصلاح وهذا التحول في تركيا يعد نقطة الأنطلاق في العراق الذي شهد نشاطا حزبيا ملحوظا وعلى النحو التالي(لوتسكي ، ١٩٧١: ٤٠١):-

أ. أُسست جمعية الأتحاد والترقي في بغداد سنة ١٩٠٨م : تعود جذور هذه الجمعية الى سنة ١٨٦٤ حيث انشأت في لندن مجلة حريات باشراف الاستاذ رفعت بك ثم انضم اليه كمال بك (نامق كمال) وضياء باشا ومصطفى باشا اخي اسماعيل الخديوي وآخرون ثم تطور هذا التكتل فتكونت جمعية تركيا الفتاة وكان نشاطها ادبيا(الجبوري ، ١٩٧٨: ٦١) وكان مقرها في الأستانه (فيضي ، ١٩٥٢: ١٢٣)على اثر وصول الاتحاديين الى الحكم في الدولة العثمانية بادر قسم من قادة العراق الى تشكيل فرع لجمعية الاتحاد والترقي في بغداد وقد شكل هذه الجمعية كل من مراد بك سليمان اخو الفريق محمود شوكت باشا قائد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٩ وتوفيق الخالدي (الذي اصبح وزيرا للداخلية في عهد الاحتلال البريطاني) وفؤاد الجيبجي والشاعرين معروف

الرصافي وجميل الزهاوي واسماعيل حقي الذي انتخب مرتين نائبا في مجلس المبعوثان عام ١٩٠٨ و١٩١٢ عن الديوانية وساسون حسقيل (اول وزير مالية في العراق) ونوري بك المعروف بنوري البغدادي الذي كان نائبا عن كربلاء وتأسس فرع لجمعية الاتحاد والترقي في البصرة وكان مسؤول هذا الفرع كركوكي عمر فوزي وانتمى اليه عدد كبير من المواطنين(انترنت ، ملاحق جريدة ٢٠١٢/٢/٢٦) وبعد أنحراف هذه الجمعية عن أهدافها أستقال عدد كبير من أعضائها وأنظموا الى الحزب الحر المعتدل، الذي كان له فرعان في العراق الأول في البصرة سنة ١٩١١م، والثاني في بغداد تأسس في العام نفسه(البلداوي ،٢٠٠٣: ٨).

ب –حزب الحرية والائتلاف التركي، وكانت دعوته الى اللامركزية، بمعنى منح الولايات العثمانية المزيد من الأستقلال الأداري او الحكم الذاتي وأن هذا الحزب هو البديل لأسم الحزب الحر، حيث غير أسمه ليكون الحرية والائتلاف سنة ١٩١١م, وله ثلاثة فروع في العراق الأول في الموصل والفرع الثاني في البصرة والفرع الثالث في بغداد تأسس سنة ١٩١٢م(صفوت ،١٩٨٣: ٦٢).

ج الجمعية الاصلاحية في البصرة : اسست هذه الجمعية عام ١٩١١ برئاسة السادة طالب النقيب وعبد الله الزهير مبعوثي البصرة (وممثلي حزب الحرية والائتلاف سابقا). تبنت الجمعية نفس الشعارات التي تبنتها الجمعية الاصلاحية في بيروت وهي المطالبة باصلاح الوضع داخل العراق وتاليف مجالس محلية للولايات العربية ومنها البصرة وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية في الولايات العربية والتدريس ، وقد قام النقيب بجمع تواقيع ثلاثمائة شخص رفعوا (مضبطة) الى الباب العالي يطالبون بهذه الاصلاحات وفي آخر (المضبطة) طالبوا بحكم مستقل للعراق وكان لها نشاط ملحوظ في مدينة البصرة والناصرية ومنطقة الفرات الاوسط. وحضيت هذه الجمعية بتأييد بعض العشائر،حيث ان اهدافها كانت اجتماعية(فيضي ، ١٩٥٢: ٢٠).

ج. جمعية النادي الوطني وتأسس في بغداد سنة ١٩١٢م(العمر ،١٩٧٨: ٢٦).

خ. حزب العهد الذي مقره في الأستانة فتح له مقرا في بغداد وآخر في الموصل(العطية ،١٩٧٢: ٤٥)

د. جمعية النهضة الأسلامية (تأسست في مدينة النجف) جل عناصرها رجال الدين والشعراء والتجار ورؤساء عشائر وملاكين وعناصر وطنية اخرى .

ذ. وفي سنة ١٩١٩م تأسست جمعية حرس الأستقلال وكان نشاطها متمركزا في بغداد(الحسني ، ١٩٨٣: ١١٥).

ع . وهنالك عدد من الجمعيات التي تأسست في العراق مثل جمعية العالم الأخضر والجمعية السوداء والجمعية القحطانية التي ضمت الطلبة وبعض الضباط(العطية ،١٩٧٢: ٤٥)

وأن العناصر المؤسسة للجمعيات والأحزاب في العراق كانوا ينحدرون من طبقات أجتماعية متنوعة في المجتمع العراقي، وخاصة من الضباط الذين خدموا في الجيش التركي،أو كبار التجار او المحامين والشعراء ورجال الدين ورؤساء بعض العشائر واصحاب الصحف والملكات الثقافية والاقلام. أي ان العناصر المثقفة كان لها الفضل الأكبر في شحذ همم العراقيين لاشاعة الوعي داخل العراق، والذي كان له صداً في مدن العراق الأخرى والكبيرة منها خاصة مثل الموصل والبصرة والنجف. وكان لذلك الصدى التوعوي تاثيراً لابأس به على مدن العراق الصغيرة مثل مدينة الناصرية، حيث كان لاهلها دوراً أو انتماء في تلك المنظمات أو الأحزاب أو من خلال الصداقات التي تربط بعض ابناء المدينة مع قادة تلك الجمعيات والاحزاب مثل الصداقة التي تربط السيد حسين آل سيد ناصر وولده عبد المهدي المنتفجي مع السيد طالب النقيب. والتي كانت في اغلبها علاقات تجارية وسياسية وصداقات. اضافة الى ما يتمتع به بعض وجوه منطقة الناصرية من نفوذ في العراق وفي الجنوب على الاخص مثل خيون العبيد الشيخ العام لقبيلة العبودة وعائلة الحاج طالب محمد علي وعائلة فليح المدو وبيت الغرباوي وآل الزبيري وال عجام وال جارالله وعبد الكريم السبتي وغيرهم (خلف ،٢٠١١: ١٨١) وبعد انحراف سياسية الاتحاديين باتجاه التتريك. فقد تأسس في البصرة حزب الحرية والائتلاف برئاسة السيد طالب النقيب سنة ١٩١١م، والذي كان من اهدافه

مطالبة الاتراك بمساواة العرب معهم. وأسست له فروع في مختلف انحاء العراق. وقد وجه رئيس الحزب السيد طالب النقيب رسائل الى العديد من الشيوخ والمتنفذين في العراق وفي لواء المنتفق خاصة منهم مثلا الشيخ خير الله شيخ عشائر الشويلات والشيخ عبد الله الفالح السعدون وغيرهم من المتنفذين يدعوهم في تلك الرسائل للأنظمام الى هذا الحزب(كوتلوف ، ١٩٧٨: ١٧٥) وقد كانت الأستجابة لهذه الدعوة طيبة من ابناء المنتفق، ووصلت رسائله ايضا الى زعماء بني خيكان وحجام وآل حسن وآل جويبر وفي مقدمتهم السادة البعاج اضافة الى رسائل مشابهة وصلت الى زعماء الناصرية وقبائلها مثل بطي شيخ آل ازيرج، ومنشد الحبيب شيخ الغزي، آل صويني شيوخ الحسينات، وآل رميض والنصرلله شيوخ البو صالح، وآل ابراهيم، وعبرت تلك الرسائل لتصل الى قبائل الشطرة مثل خفاجة وبني زيد وغيرها، وكان في مقدمة الذين وصلتهم رسائل السيد طالب النقيب صديقه العتيد السيد حسين آل سيد ناصر والد عبد المهدي المنتفجي (H.R.P.Dickson,1967 :556)ولكن الحكومة العثمانية وعن طريق والي بغداد لم يرضها انتشار افكار هذا الحزب في أمارة المنتفق، فأرسلت العقيد فريد بيك متصرفا للواء المنتفق وقائدا للحامية العسكرية سنة ١٩١٢م (نظمي ،١٩٨٥: ٩٩) وقد كلفه الاتحاديون باتخاذ جميع السبل للقضاء على اي خطر يهدد سياسة الاتحاديين وانتشار افكارهم(الشرقي ،١٩٢٧: ٢).

دور التجارة الداخلية والخارجية في تنامي الوعي الوطني في مدن العراق

بعد أنفتاح أوربا على العالم بفعل ثورتها الصناعية وبحثها عن الأسواق وأتجاهها نحو الشرق الذي مثل الحلم الساحر لها، تمت عملية الأختلاط بين العراقيين وبين تلك الدول الأوربية المثقفة تحت شتى العناوين. فتكونت سلسلة من الحلقات المترابطة المتصلة التي جعلت وعي المواطن يقفز من حالة الانغلاق ومحدودية التفكير الى افاق اوسع اكثر رحابة. ومن أهم تلك الحلقات التي أثرت في المجتمع والاقتصاد والتطور الملحوظ التجارة الداخلية والخارجية. في مدن العراق في أواخر العهد العثماني (حسن ، ١٩٦٥: ٩٥-١٠٧)والتي تطورت بفعل أتساع الأسواق الراسمالية العراقية، وتبعا

لذلك أصبح العراق محط أنظار العديد من الدول الأوربية في مجال التجارة فكانت البضائع القادمة اليه والمغادرة منه كبيرة جداً(صالح ، ١٩٦٨: ١٩٥) وأن الأسواق القديمة في العراق قد طراء عليها تغير، أضافه الى أتساع المدن والتي كانت تعاني حالة من العزلة والرتابة والتي راحت تتطور بسبب الحاجات التي استجدت، والنمو السكاني وقوة مركز المدينة تؤشر مدى التطور الذي حصل في بنية السكان (مجلة العرب ، ١٩١٢، العدد٧: ٢٧٠) وتبعاً لهذا الاقتصاد الجديد في العراق، اصبح فيه ايضاً مجتمع جديد لديه افكار وآراء ومواقف جديدة تختلف جذرياً عما هو سائد وقديم، وبرز في العراق ايضا مثقفون غير تقليديين يفهمون القانون ويعرفون اللغات، ويجيدون استخدام الآلة الحديثة(الطابعة) والأشراف عليها، بل ويحسنون العديد من المهارات التي اكتسبوها من خلال أحتكاكهم مع الأوربيين خارج العراق ، وأن هذه الفئة الجديدة اثرت على المثقفين التقليديين في العراق الذين كان ينصب اهتمام اغلبيتهم على قضايا الفقه والادب ، جعلوهم يتبنون قيما جديدة لمسايرة روح العصر. وكانت لهم أسهاماتهم المؤثرة في مجال تنامي الوعي الوطني(فيضي ، ١٩٥٢: ٦٧) فكانت التجارة قائمة على طريقين داخلية وخارجية وان الاحداث التي حدثت في لواء المنتفك تركت بصمة واضحة على الحياة الاقتصادية ولاسيما التجارية منها فكانت مدينة الناصرية سوقاً ومستودعاً لمنتجات القرى التي يعتمد معظم سكانها على اكثر من مهنة فكانت سكان القرى يصدرون المنتجات الزراعية والحيوانية الى المدينة ويستوردون المستلزمات الزراعية والادوات المنزلية والتوابل والعقاقير منها فكان لذلك مردود ايجابي على تنامي الوعي الوطني من خلال احتكاك اهل القرى باهل المدينة وهناك نوع اخر من التجارة وهو التبادل التجاري بين مدن اللواء والالوية اذ احتلت الناصرية بسبب موقعها على نهر الفرات اهمية كبيرة لكونها تعد مركزا مهما لخزن الحبوب في مناطق اللواء وكان لتجار الناصرية وسوق الشيوخ مساحات كبيرة من الاراضي المخصصة لزراعة الرز والتمور في منطقة المجرة وكل هذا ادى الى تحسن الوضع الاقتصادي لفلاح وزيادة ثروات هولاء التجار وحتلت مدينة الناصرية الصدارة في تجارة المنتفك مع ولاية البصرة في تصدير المنتجات المختلفة ليس على المستوى المحلي بل وصلت بعض المنتجات

الى الدول العربية والاجنبية واكتسبت اصواف الاغنام وبعض الحاصلات الزراعية شهرة في معامل النسيج الفرنسية وفي اسواق الهند وبريطانيا فكان السلع المستورة من الهند وبريطانيا من التوابل والعثاقير ومواد البقالة والمنسوجات نصل الى اسواق الناصرية وشهد لواء المنتفك عام ١٩٠٥م كثرت الواردات من المعدات والالات التي تدخل في صناعة الادوات الزراعية وادوات البناء وكان لتجار الدور البارز في نقل ماتم الاطلاع عليه من الثقافات والوعي الاروبي الى اهل المدن في العراق فساهم ذلك في رفع الوعي لديهم (حسن ، ٢٠١٥: ١٤٨-١٥٠).

دور خطوط البريد والمصارف في تنامي الوعي الوطني

برزت على السطح مؤسسات جديدة لم تكن معروفة من قبل منها مثلا المصارف وعلاقات العراق البريدية، التي تحولت الى رافد مهم من روافد الأتصال بين العراق والخارج وتقليص المسافات (مجلة العرب ، ١٩١٢، العدد٧: ٣٧٠) وترجع البدايات الاولى للاتصالات البرقية في الدولة العثمانية الى العقد السادس من القرن التاسع عشر ولم يكن دخالها نابعا من مجرد الرغبة في استخدام رسائل الاتصالات الحديثة التي عرفتها اوربا انذاك وجعلتها متاحة لاغراض الخدمة ، بل جاء استعمالها نتيجة الحاجة اليها في حرب القرم وبذل مدحت باشا والي العراق جهوداً حثيثة للتوسع في هذه الخدمة وجعل بغداد مقرا لهذه الخدمة التي تربطها بأسطنبول من جهة والمدن العراقية من جهة اخرى كما استمرت عملية مد الاسلاك البرقية بين بغداد وباقي المدن والقصبات العراقية ففي عام ١٨٧١م انتشرت خطوط التلغراف الى مدن العراق فكان خط تلغراف البصرة ينقل المخابرات التلغرافية الى الهند واوربا ، كما كانت الخطوط التلغرافية تمتد الى القرنة ومنها خطان الاول الى قضاء سوق الشيوخ والثاني الى مدينة الناصرية وساهمت الخدمات البرقية الى حد كبير في تطور تجارة اللواء وتسهيل عملية النفقات التجارية الداخلية منها والخارجية اضافة الارتقاء بالمستوى الثقافي (حسن ، ٢٠١٥: ١٣٨-١٤١).

دور المدارس والمدارس التبشرية في تنامي الوعي الوطني

كان لنمو المدارس الرسمية التي يبدأ تاريخها مع مطلع العقد الثامن من القرن التاسع عشر، الدور المهم في الارتفاء بوعي الناس. حيث ارتفع عدد تلك المدارس من مدرسة واحدة في عام ١٨٦٩م الى ١٧ مدرسة في عام ١٩٠٠م، بل والى ٤٠ مدرسة في العام ١٩٠٥م وراحت هذه الاعداد تتزايد حتى بلغت في السنة التي سبقت الحرب العالمية الاولى الى ١٦٨ مؤسسة تعليمية، يدرس فيها عدد كبير من الطلاب تشمل مدارس اعدادية سلطانية ودور للمعلمين (احمد ، ١٩٨٢: ٦٢) الى جانب المدارس التبشيرية التي لعبت هي الاخرى دورا مهما في تنامي الوعي الوطني وتزايد عدد المثقفين(غنيمة ، ١٩٩٠: ١٢) يذكر أن جانب كبير من الفئة المثقفة تكون في المراحله الأولى ونشأ ونما في باحات المدارس وقاعاتها وخاصة الأهلية منها(فيضي ،١٩٥٢: ٥٨) فتم افتتاح اول مدرسة ابتدائية عام ١٨٨٤م في مدينة الناصرية فضلا عن انشاء مدرسة في الشطرة كذلك افتتاح مدرسة ابتدائة في سوق الشيوخ عام ١٨٨٧م وكانت الادارة التعليمية في لؤاء المنتفق تابعة لولاية البصرة الذي هو مزيج من الكتاتيب والتعليم الديني والبعثات التبشيرية وكان امراء ال سعدون يرسلون ابنائهم للدراسة في اسطنبول بعد ان اسست الدولة العثمانية مكتب العشيرة الذي مهمته قبول ابناء العشائر العراقية في المدارس وتحت اشراف السلطان ومتابعته على الرغم من وجود مدرستين في لواء المنتفك عام واحدة ابتدائية واخرى رشيدية وزاد عدد المدراس الرشيدية الى ٤٠ مدرسة عام ١٩٠٥م وساهم امراء المنتفق في ترويج العلم والثقافة والوعي العام للناس من خلال تكريم رجال العلم والشعراء والمعلمين وطلبة العلم (حسن ٢٠١٥: ١١١-١١٢).

دور الصحافة والطباعة في تنامي الوعي الوطني

الصحافة

لم يعرف العراق في العهد العثماني الى ماقبل اعلان الدستورسنة ١٩٠٨م شيأ عن الصحافة الاهلية وكل ماعرفوه هو الصحف الرسمية التي أصدرتها حكومة الولايات او الصحف التي وصلت من اسطنبول وقدا بدأ مدحت باشا اصدار جريدة الزوراء سنة

١٨٦٩م وتعد الصحافة الاولى التي صدرت بالعراق وكان لكل ولاية صحيفتها الرسمية ، ففي ولاية الموصل كانت صحيفة الموصل١٨٨٥م وفي ولاية البصرة كانت صحيفة البصرة ١٨٩٥م وان العراق عرف الصحافة في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر بعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ تعددت الصحف والمجلات الاهلية والرسمية ، في مدن العراق الرئيسة فبلغ عدد الصحف الصادرة للسنوات ١٩٠٩- ١٩١٣ ٦١ صحيفة اما المجلات فبلغ عدد ما صدر منها لسنوات ١٩١٠ – ١٩١٤ ستة عشر مجلة (الشلال ، ٢٠١٥: ٢٥١-٢٦٠) وهنالك دور كبير للصحافة العربية الصادرة خارج العراق في بلورة وعي أبناء الفئة الجديدة. حيث كان لها رواجا بين المثقفين الذين كانوا يتلقفونها بشغف، وكان عدد تلك الصحف كبير بحيث يدخل منها إلى العراق أكثر من ٥٠٠٠ نسخة في الأسبوع الواحد (عز الدين ، ١٩٦٥: ٣٢٩) فكانت أيضا إلى جانب الصحف هنالك مجلات: ومن بين هذه المجلات مثل مجلة الجنان والنحلة، وجريدة الجنة، والبشير، التي تصدر في بيروت وتصل مختلف مدن العراق ومنها الناصرية (النصيري ، ١٩٦٢: ٤٢-٦٠) كل فكان للصحافة دور كبير في تنامي الوعي الوطني وعتبرت كأداة رئيسية للتعبير عن أفكار المثقفين الجديدين حيث ظهر خلال فترة ١٩٠٨-١٩١٤م حوالي٦٠صحيفة في بيروت(موسى ، ١٩٨٦: ٥٩) والتي أصبحت منافذ لأرائهم وأفكارهم رغم بدائية تلك الصحف ومحدودية النشر فيها (ابو السعد ، ١٩٨٣: ١١).

الطباعة

ومن الحلقات المهمة التي تعد عاملاً مميزاً في تصاعد وعي المواطنين وتنامي الحس القومي والوطني بشكل ملفت هو انتشار الطباعة في العراق، والتي راحت تأخذ على عاتقها إحياء التراث العراقي والعربي من خلال أعادة طبع العديد من الكتب، التي كانت مطبوعة في مصر أو بيروت أو في أماكن أخرى. أن أول مطبعة دخلت إلى العراق هي مطبعة كامل التبريزي ونصبت في بغداد في حدود سنة ١٨٦١م كانت هذه المطبعة حجرية أسهمت في طبع العديد من الكتب أبرزها سبائك الذهب والأخبار الأول في آثار الدول وإشراق التواريخ، والطرائف واللطائف، و المقامة أللطيفية لجلال الدين

السيوطي(بطي،١٩٥٥: ١٢-١٣) وكذلك نشطت حركة تحقيق المخطوطات ونشطت حركة الترجمة وأصبح لهذه المطابع أناس مختصون في أدارة شؤونها والترويج لمطبوعاتها، وآخرون مختصون بالتأليف والترجمة والتحقيق ، فيما يعد بعض المؤرخون أن مطبعة الولاية تعتبر هي المطبعة الأولى التي دخلت العراق ، بل هي المطبعة الآلية الأولى التي جلبها الوالي مدحت باشا ١٨٦٩-١٨٧٢م ، من فرنسا عندما تسلم منصب ولاية العراق (عفاص ، ١٩٨٣: ١-٢٥) وطبع فها العديد من الكتب والمؤلفات والمخطوطات والكتب المترجمة والجرائد والمجلات، وكذلك أسهمت مطبعة الفيلق التي جلبها مدحت باشا أيضا وهي حجرية وسميت بالعسكرية لأنها كانت تطبع ما يحتاج أليه الجيش (بطي ، ١٩٥٥: ٩) واستمر أنشاء المطابع في بغداد بشكل ملفت، فكانت مطبعة دار السلام والمطبعة الحميدية ومطبعة الشاه بندر ومطبعة الآداب وهكذا انتشرت الطباعة في بغداد والموصل والنجف وكربلاء وكركوك أخذت على عاتقها طبع المعاجم اللغوية وكل ما يحتاجه المثقف في العراق والدول المجاورة، بل كل ما تحتاجه المدارس. وكانت طباعتها منوعة تتراوح بين التاريخ والتراث والمعاجم والأدب واللغة والنحو والكتب الدينية(عفاص ، ١٩٨٣: ١-٢٥) فضلا عن قيمها بطباعة الصحف وبعض المؤلفات الحديثة من دواوين شعر وقصة(بطي ، ١٩٥٥: ٨٣) أما أهم الصحف التي طبعت في هذه المطابع فهي جريدة زوراء التي ظهرت للوجود في ١٥ حزيران ١٨٦٩م والتي كانت تطبع في الأسبوع مرة وباللغتين العربية والتركية وأغلقت بدخول الانكليز إلى بغداد ١٩١٧م وجريدة الزهور كان صاحب الامتياز فيها محمد رشيد الصفار ، ومجلة سبل الرشاد للصفار أيضا، ومجلة الرياحين والقسطاس والوجدان وشمس المعارف لإبراهيم صالح شكر ومجلة لغة العرب، ومجلة العلم لهبة الدين الشهرستاني، ومجلة الحياة لسليمان الدخيلي، ومجلة تنوير الأفكار للسيد نعمان الاعظمي، وجريدة الرياض لسليمان الدخيل، وجريدة الرصافة لمحمد صادق الاعرجي، والمصباح، وصدى بابل لداود صليوة ويوسف غنيمة(لونكريك ، ١٩٨٥: ٣٩٥) هذا إلى جانب العديد من الصحف الأخرى التي أنشأت أو كونت أو دربت العديد من الصحافيين والكتاب في العراق ونمت فيهم روح الجرأة الأدبية ومقارعة

الحجة بالحجة، وتبني قضية العراق الساخنة في ذلك الزمان. وكان صدى هذه النهضة الثقافية قد أمتد الى جميع مدن وساحات العراق ومثقفيها والمتطلعين الى الحرية، ومن تلك المدن مدينة الناصرية وان هذا الوضع بمجمله خلق مجتمعاً جديداً بل واقتصاداً جديداً في مدن عموماً والناصرية خصوصاً وفرض قاعدة ثابتة من الافكار والاراء والمواقف الجديدة التي تختلف جذريا عما هو سائد، بل ان تلك الافكار راحت تتخطى القيم الراهنة على الساحة لتفرض نفسها باتجاه النهوض والتجديد ،وقد وقع عبء ذلك كله على عاتق مثقفين غير تقليديين(ايرلاند ، ١٩٤٩: ١٧٣).

النتائج

أن تأثر الدولة العثمانية بالقوانين والأنظمة الأوربية جعلها تجري الأصلاحات وتدخل القوانين الجديدة وأعطاء نوع من اللامركزية في حكم الولايات، تلك الولايات التي أخذت شعوبها تشكل الأحزاب والمنظمات السرية ويتصاعد بها الوعي الوطني وراح مواطنها يعرف حقوقه وواجباته فقد حصل ذلك في مدن العراق بشكل واضح تحركه عوامل عديدة منها رياح التغيير التي هبت على العالم التواق للحرية ومنها أنتشار الطباعة وأزدياد عدد المدارس ودخول الصحف والمجلات والمطبوعات الأخرى، ومنها ما أحدثه أبناء العراق العائدين إليه من الدول الاوربية أو الذين عملوا في العاصمة العثمانية، أما على هيئة ضباط أو موظفين بل ان تلك الافكار راحت تتخطى القيم الراهنة على الساحة لتفرض نفسها بأتجاة النهوض والتجديد وقد وقع عبء ذلك كله على عاتق مثقفين غير تقلديين وقد عم ذلك الوعي أغلب مدن العراق وأمتد ذلك ليشمل الأنسان في مدينة الناصرية .

المصادر والمراجع

١- البلداوي ، عادل تقي عبد البلداوي، التكوين الاجتماعي للاحزاب،د.م ، بغداد، ٢٠٠٣م.
٢- ابو السعد ، عدنان عبد المنعم أبو السعد, تطور الخبر وأساليب تحريره في الصحافة العراقية منذ نشأتها حتى سنة ١٩١٧م، بغداد، دار الحرية للطباعة ،١٩٨٣.
٣- احمد ، ابراهيم خليل ، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢، بغداد، د.ن. ،١٩٨٢م .

٤- الجبوري ،عبد الجبار حسن الجبوري ،الاحزاب السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨-١٩٥٨،الحرية ،بغداد ،١٩٧٨.
٥- الحسني ، عبد الرزاق الحسني، تاريخ الاحزاب السياسية، لبنان.١٩٨٣م.
٦- الحصري ، ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم للملاين ، بيروت ، ١٩٦٠.
٧- الشناوي ، عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليهاج١،، مصر: مكتبة الانكلو مصرية ، ١٩٨٠.
٨- الشرقي ، علي الشرقي،" النوادي العراقية"، جريدة النهضة. القسم الثالث، العدد ٣١.العراق. ٢٦ ايلول ١٩٢٧م.
٩- الصلابي ، علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط، مصر، المكتبة التوفيقية،القاهرة، د.ت.
١٠-الشلال ، عمر ابراهيم الشلال ، التطورات الثقافية في العراق في العهد العثماني الاخير ١٨٦٩-١٩١٤م ، مجلة العدد٣٩، تركيا ، ٢٠١٥.
١١-العمر ، فاروق صالح العمر، الأحزاب السياسية في العراق١٩٢١-١٩٣٢، بغداد ،١٩٧٨.
١٢-العطية ، غسان العطية, التنظيم الحزبي في العراق قبل الحرب العالمية الاولى بيروت ، لبنان، ١٩٧٢م .
١٣-العزاوي ، عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ،ج٧، بغداد، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، ١٩٥٥.
١٤-النصيري ، عبد الرزاق احمد النصيري، الفكري للنخبة المثقفة في العراق١٨٦٩- ١٩٠٨م، مجلة آفاق عربية، أثر الصحافة العربية في التطور بغداد.١٩٦٢م العدد٤.
١٥-ايرلاند ، فيليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ت ،عن الانكليزية جعفر الخياط بغداد، دار الكشاف،١٩٤٩م.
١٦-بطي ، روفائييل بطي،تاريخ الصحافة في العراق،د.م، القاهرة، ١٩٥٥م.
١٧-جريدة زوراء، العدد ١٨٤، العراق، ١٨/رجب/ ١٨٧١م.
١٨-حسن ، مروة حبيب حسن ،الادارة العثمانية في لواء المنتفق ١٨٦٩-١٩١٥، رسالة ماجستير ، منشورة ، جامعة ذي قار ، كلية الاداب ،٢٠١٥.
١٩-حسن ، محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العرق التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤- ١٩٥٨، ج١، لبنان، ١٩٦٥م.
٢٠-خلف ، حسن علي خلف، الأهوار دراسة تاريخية ديموغرافية طوبوغرافية، ج١،العراق، مؤسسة مصر ومرتضى للكتاب، ٢٠١١م.
٢١-سلمان ، محمد عصفور سلمان، العراق في عهد مدحت باشا ١٨٦٩-١٨٧٢م، رسالة ماجستيرغير منشورة، قسم التاريخ الحديث، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.
٢٢-صالح ، زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى سنة ١٩١٤م دراسة في الترابط الدولي والتوسع الاستعماري، بغداد، ١٩٦٨م.
٢٣-صفوت ، نجدت فتحي صفوت، الوثائق البريطانية، جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٣م.
٢٤-عز الدين ، يوسف عز الدين، الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية, القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر،١٩٦٥م.

٢٥-طقوش ، محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، لبنان: دار النفائس، ط٢، ٢٠٠٨م.
٢٦-عليوي ، هادي عليوي, احزاب المعارضة السياسية في العراق ١٩٦٨، لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
٢٧-عفاص، بهنام فضيل عفاص ، تاريخ الطباعة العراقية منذ نشوئها وحتى الحرب العظمى الأولى، مجلة المورد مجلة تراثية فصلية، العدد ٢، ١٩٨٣.
٢٨-غنيمة ، حارث يوسف غنيمة، السياسي الأديب يوسف غنيمة ١٨٨٥– ١٩٥٠م من أركان النهضة العلمية في العراق الحديث حياته وآثاره وعصره، بغداد، دار الحرية للطباعة،١٩٩٠.
٢٩-فيضي ، سليمان فيضي، مذكرات, تحقيق باسل سليمان.شركة التجرة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٢م.
٣٠-كوتولوف ، ل. ن كوتولوف ، خصائص واهمية الحركات الجماهيرية في المشرق العربي قبيل ثورة الاتحاديي، مجلة المؤرخ العربي، ت، هاشم صالح التكريتي، بغداد،١٩٧٨م.
٣١-لونكريك ، ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ط٦، ت، جعفر الخياط، بغداد، أركان بغداد، ١٩٨٥م.
٣٢-لوتسكي ، فلادمير لوتسكي تأريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة. عفيفة البستاني. موسكو، د.ن،١٩٧١م.
٣٣-موسى ، سليمان موسى. الحركة العربية المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨-١٩٢٤. ط٣. لبنان، دار النهار للنشر، ١٩٨٦م.
٣٤-مجلة لغة العرب، العدد ٧، كانون الثاني، ١٩١٢م.
٣٥-مجموعة باحثين عراقيين، ذي قار بين الماضي والحاضر، مطبعة الميناء، بغداد، ١٩٨٣م.
٣٦-مجموعة باحثين، الدليل الأداري للجمهورية العراقية، ج٢، الدار العربية للطباعة، د.م.، ١٩٩٠.
٣٧-ملاحق جريدة المدى ٢٠١٢/٢/٢٦/تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٣/١٣/، https://almadasupplements.com/view.php?cat=4158
٣٨-نظمي ، وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق، ط٢،د.م بغداد، ١٩٨٥م.
٣٩-هاشم ، علي حسون هاشم ، تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الاسلامي ، بيروت ،١٩٩٤.

المصادر الاجنبية

1-H.R.P. Dickson, The Arab Desert, forth Impression, London, 1967.
2-Standford Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, London:s.n. 1977.